الإصلاح الاجتماعي
في تفسير ابن سعدي
(على مستوى الفرد)

إعداد

د/ ماجد بن حامد الشاعر

الأستاذ المساعد بكلية التربية بجامعة حائل

المملكة العربية السعودية

الإصلاح الاجتماعي في تفسير ابن سعدي(على مستوى الفرد)

ماجد بن حامد الشاعر
قسم التفسير، كلية التربية بجامعة حائل ، المملكة العربية السعودية
البريد الالكتروني: Majed.h.alshaer@gmail.com

الملخص:

هدفت الدراسة على الوقوف على الإصلاحات الاجتماعية على مستوى الفرد في تفسير ابن سعدي رحمه الله، والوقوف على صلاح الفرد في عقيدته وصلاح العمل وصلاح العبادة، وصلاح الخلق.

وترجع أهمية الموضوع إلى عدة أمور: أن تفسير ابن سعدي –رحمه الله– أولى اهتماماً بالإصلاحات المجتمعية، وخاصة الفردية، وهذا ما يحتاج المجتمع لإبرازه،أن القرآن جاء برفع مكانة الفرد، والنهوض به إلى أعلى السمو الديني والأخلاقي، وهو ما نجده في تفسير ابن سعدي.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها:

أن اصلاح الفرد لبنة أساسية في نباء صلاح المجتمع واستقامته،وأن صلاح الفرد دعوة منهجية جاء بها الإسلام ودعاء إليها كتاب الله جل وعلا،وأن صلاح عقيدة الفرد هو مبدأ صلاح المجتمع، ويكون به صلاح العمل والعبادة، والبعد عن كل ما يشوب العمل،وأن ابن سعدي –رحمه الله – حرص على صلاح الفرد، ووجه وفسر الآيات التي تدعو إلى الصلاح، وإلى كمال الفرد وحصوله على خيري الدين والدنيا،وأن التقليد والعادات المجتمعية المخالفة للفطرة السليمة لا تحقق الصلاح المطلوب،وأن ابن سعدي –رحمه الله – لم يضع القواعد الإصلاحية في تفسيره، ولم يسر في منهجية في ذلك، ولكن اكتفي ببيان تلك الإصلاحات في تفسير الآيات.

الكلمات المفتاحية: الإصلاح ، الاجتماعي ، الفرد ، ابن سعدي.

The social reforms in explanation of the level of the individuals

Maged Ben Hamed Elshaer
Explanation department faculty of education – Hael University – kingdom of Saudi Arabia
email address : majed.h.alshaer@gmail.com

Abstract

this study is tackling the social reforms on the level of the individuals in the explanation of Ibn Saadi peace be upon and to stand on the reforms of the individual in his beliefs and his work and his worship and his ethic, it shows the importance of this topic is related to some items most important of them is the explanation of Ibn saadi peace be upon him who has concerned about the social reforms especially the individuals and what the needs of the society to make them a prominent as the Quran has increased the level of the individual and has made the prosperity to the most higher levels of religious and ethic and what has been mentioned in the explanation of Ibn Saadi

as the most important results has been discovered that the reforms of the individual is the basic core to rebuild a reforms Society and its integrity so form of the individual is that an invitation made by curriculum stated in the Islam and the preaching of Book of Allah as the reforms and correctness of the belief of the individual is the core and the principle of society reforms in which we'll be that the forms of work and reforms of worship and to be far from anything that destroy.

keywords: reforms – society – individual – Ibn Saadi

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي رفع من أراد به خيرا بالعلم والإيمان، وخذل المعرضين عن الهدى وعرضهم لكل هلاك وهوان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الكريم المنان، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي كمل الله له الفضائل والحسن والإحسان، اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان مدى الأزمان.

أما بعد:

الحمد لله الذي أنزل الكتاب ولم يجعل له عوجا، وتبارك الذي نزل على عبده الكتاب ليكون للعالمين نذيرا، والحمد لله الذي جعل القرآن تبيانا لكل شيء، وهدى ورحمة للمؤمنين، وجمع فيه أصول الدين وفروعه، وأصلح به الدنيا والدين.

والحمد لله الذي سخر لهذه الأمة علماء راسخين يقومون بما قام به الأنبياء، فكانوا للأمة سراجاً منيرا.

ومن علماء هذا الزمان الذي أناروا زمانهم، ومن بعدهم بعلومهم، هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المتوفى: ١٣٧٦هـ، فقام بتفسير كتاب الله جل وعلا على أفضل ما يكون، وهو من التفاسير الإجمالية النيرة، واهتم -رحمه الله- في تفسيره على الإصلاحات المجتمعية سواءً على مستوى الفرد أو مستوى المجتمع.

وكان -رحمه الله- ممن خدم مجتمعه في كثير من الأمور، فكان معلماً وكان خطيباً وواعظاً ومفتياً وغير ذلك.

وسنقف في هذا المقام على الإصلاح الاجتماعي في تفسير ابن سعدي -رحمه الله- على مستوى الفرد.

أهمية الموضوع:

ترجع أهمية الموضوع إلى عدة أمور:

١- أن تفسير ابن سعدي -رحمه الله- أولى اهتماماً بالإصلاحات المجتمعية، وخاصة الفردية، وهذا ما يحتاج المجتمع لإبرازه.

٢- أن القرآن جاء برفع مكانة الفرد، والنهوض به إلى أعلى السمو الديني والأخلاقي، وهو ما نجده في تفسير ابن سعدي.

٣- حاجة الفرد المسلم لمعرفة وإبراز هذا الموضوع.

٤- أهمية موضوع الإصلاح الاجتماعي، وخاصة على مستوى الفرد فهو اللبنة الأساسية في بناء مجتمع سام في المكارم الدينية والأخلاقية.

أسباب اختيار الموضوع:

١- خدمة تفسير ابن سعدي وتسليط الضوء على موضوع قرآني يمس حاجة الناس إليه، وخاصة الإصلاح الاجتماعي على مستوى الفرد.

٢- أن الإصلاح الاجتماعي أهم ما يشغل المصلحين ومريدي الإصلاح للمجتمع المسلم.

٣- لم أقف على دراسة علمية تتعلق بجميع ما ذكرت.

الدراسات السابقة:

بعد الرجوع إلى فهارس الرسائل العلمية، والسؤال لأهل الخبرة والمعرفة في البحث العلمي، والنظر في مراكز العلمية التي تعنى برصد الرسائل، لم أقف على دراسة تشمل على جميع ما سنقف عليه في هذه الدراسة.

أهداف الموضوع:

١- إبراز عناية القرآن الكريم بالإصلاحات الفردية، للوصول بالفرد إلى أعلى درجات السمو والكرامة.

٢- الوقوف على العناية الإصلاحية في تفسير ابن سعدي.

٣- الوقوف على الإصلاحات المجتمعية على مستوى الفرد.

٤- معرفة الآثار المترتبة على الإصلاح الاجتماعي على مستوى الفرد.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

مقدمة؛ وتشمل: أهمية الموضوع، وأسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، وأهداف الموضوع، وخطة البحث، ومنهج البحث.

التميهد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المراد بالإصلاح الاجتماعي.

المطلب الثاني: ترجمة ابن سعدي -رحمه الله-.

المبحث الأول: الإصلاح الاجتماعي في تفسير ابن سعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) على مستوى الفرد، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الإصلاح الاعتقادي.

المطلب الثاني: الإصلاح في جانب الأعمال.

المطلب الثالث: الإصلاح في جانب العبادات.

المطلب الرابع: الإصلاح الأخلاقي.

المبحث الثاني: الآثار المترتبة على الإصلاح الاجتماعي على مستوى الفرد.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

ثم ثبت المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

منهج البحث:

١- الاعتماد على المنهج الاستقرائي للموضوع، والتحليل يكون على حسب متطلبات البحث وطبيعته.

٢- الاعتماد على تفسير ابن سعدي في نقل الإصلاحات المجتمعية على مستوى الفرد.

٣- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني مع عزوها إلى سورها وذكر أرقامها.

٤- تخريج الأحاديث والآثار، وعزوها إلى مصادرها؛ فإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بهما، وإلا خرجته من أحد مظانه وبينتُ درجته.

٥- عزو الأقوال إلى قائليها، وتوثيقها من مصادرها.

٦- الوقوف على الكلمات الغريبة وتوضيحها وشرحها مع ضبطها بالشكل.

التمهيد

المطب الأول: المراد بالإصلاح الاجتماعي

أولاً: المراد بالإصلاح:

الإصلاح لغة: من أصل صلح، والصاد واللام والحاء أَصلٌ واحدٌ يَدلُّ على معنى هو خِلاف الفساد، يُقالُ: صَلُحَ الشَّيءُ يَصلُحُ صَلاحاً[1].

وهو من الصلاح وضده الفساد، وأصلحه ضد أفسده، ويقال: أَصْلحَ الشيءَ بعد فَساده، ويقال: وقع بين القوم صُلح بمعنى: أي تصالح القوم فيما بينهم، ويقال: صلحت حال فلان: أي تغير حاله إلى الصلاح[2].

والصلاح والفساد متعلقان في كثير من الاستعمال على الأفعال، كما قال تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾[3] وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾[4].

والإصلاح وضده الفساد مفردتان متلازمتان، ولا ينفك التعريف بأحدهما دون الآخر وفهمه[5].

فالإصلاح يأتي على ما هو ضد الفساد، ويأتي بمعنى جعل الشيء صالحاً، وكذلك إزالة الشقاق والنفار بين الناس.

والإصلاح في الاصطلاح: التعريفات للإصلاح عديدة، وأقربها هو الصحيح: تحرير العقل من قيود التقليد، وتعلم الدين وفهمه على طريقة السلف الصالح، وأخذه من منابعه من كتاب وسنة، وجعله من موازين العقل الذي امتاز به البشر لترد من ميله، وتسلمه من تخبطه، وبذلك يتم حفظ

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة (صلح) (٣٠٣/٣).

(٢) ينظر: تاج العروس (صلح) (٥٤٨/٦).

(٣) سورة التوبة: ١٠٢.

(٤) سورة الأعراف: ٥٦.

(٥) ينظر: الإصلاح جذوره ومعانيه وأوجه استخدامه باسم الزبيدي ص:١١.

النظام الإنساني[١].

ثانياً: المراد بالاجتماعي:

الاجتماع لغة: هو من جَمَعَ الجيم والميم والعين أصل يدل على ضم الشيء، وضده التفرق أو التفريق، ويقال: جمعت الشيء جمعاً، ومعناه: ضم الشيء بعضه من بعض[٢].

والإجماع: هو العزمُ على الشيء أو الأمر والإحكام عليه[٣].

فالاجتماع يكون بمعنى ضم الشيء، ويأتي بمعنى جمع الناس وعدم التفرق، ويأتي بمعنى العزم على الأمر والإحكام عليه.

والمعنى الاصطلاحي المراد في هذا المقام: المجتمع وتكويناته من أفراد وجماعات.

ثالثاً: المراد بالإصلاح الاجتماعي:

الإصلاح الاجتماعي كثرت فيه التعريفات، ولكن أقربها للمعنى الصحيح هو:

أصل شرعي من أصول شريعة الإسلام، ويقوم على بناء القواعد الأساسية للرقي بالفرد والمجتمع لإصلاح أمور دينهم ودنياهم، فيكون المقصود الإصلاح الديني والأخلاقي والاجتماعي[٤].

ويرى البعض أن الإصلاح الاجتماعي يتركز إصلاح الأسرة، فإصلاح الأسرة هو أساس الإصلاح الذي يهتدي به المصلح؛ ليشيع الإصلاح في كل جانب[٥].

---

(١) ينظر: الأعمال الكاملة، محمد عبده ص: ١٨٣.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (جمع) (٤٧٩/١).

(٣) ينظر: تاج العروس (جمع) (٤٦٤/٢٠).

(٤) ينظر: أصول المجتمع الإسلامي ص: ١٩٣.

(٥) ينظر: بحوث مؤتمر الإصلاح الاجتماعي ص: ٩٣.

المطلب الثاني

ترجمة ابن سعدي –رحمه الله–

اسمه ونسبه:

هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي التميمي، الشيخ العلامة المفسر الفقيه الأصولي والمحقق، والزاهد الورع، ويتصل بآل عثيمين من جهة أمه.

مولده:

ولد –رحمه الله– في القصيم وتحديداً في عنيزة في يوم الثاني عشر من محرم عام ١٣٠٧هـ، وتكفلت به زوجة أبيه بعد وفاة أمه، وهو ابن الرابعة من عمره، ووجد العناية عندها وحسن الرعاية.

ويذكر أن أمه رأت رؤيا وهي حامل به أنها تبول في محراب المسجد، وقصت هذه الرؤيا على زوجها، فقال: تلدين غلاماً يكون إماماً، كان الأمر كذلك.

نشأته:

لما شب صار في كفالة أخيه الأكبر (حمد بن ناصر السعدي المتوفى سنة ١٣٨٨هـ).

وأول ما بدأ به حفظ القرآن وهو ولم يتجاوز الثانية عشر من عمره، واشتغل بالعلم والجلوس عند علماء ببلده ومن جاءها من أهل العلم.

فكان منقطعاً للعلم فكان جل وقته يقضيه في التحصيل العلمي، وكأنه من سلف هذه الأمة.

وتتلمذ بين يديه أقرانه وذلك لنبوغه وتفوقه، وكان متمكناً من المذهب الحنبلي، وكثير الاطلاع في كتب ابن تيمية –رحمه الله–، وتلميذه ابن القيم، فكان بذلك متأثراً بهما وكان كثيراً ما يرجح في اختياراته ما رجحه ابن تيمية رحمهما الله.

وكان حريصاً على نشر العلم وتدريسه والتوجيه والإرشاد، وفكان له الأثر على مجتمعه وكثر حوله الطلبة، واشتهر -رحمه الله- بسعة علمه وحسن خلقه، دَرَّس وهو ابن الثالثة والعشرين من عمره، وهذا فيه دلالة على تفوقه في العلم، وعلو كعبه.

وكان -رحمه الله- ساعياً للخير لمجتمعه، فتجده: المعلم، والمفتي، والخطيب، والواعظ، وكاتب الوثائق والأوقاف، وعاقد الأنكحة.

وكان اجتماعياً بطبعه، فيخالط الناس من أهل وأصحاب، ومشاركاً لجيرانه وللجميع.

وتتلمذ -رحمه الله- على علماء فضلاء، منهم:

١- الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر، وهو أول من قرأ عليه.

٢- الشيخ محمد العبد الكريم بن صالح الشبل. أخذ عنه الفقه، وأصوله، وعلوم اللغة.

٣- الشيخ عبد الله بن عائض، أخذ عنه الفقه وأصوله، وهما أول مشايخه.

٤- الشيخ صعب التويجري. أخذ عنه الفقه وأصوله.

٥- الشيخ علي بن محمد السناني. أخذ عنه التوحيد.

٦- الشيخ علي بن ناصر أبو وادي أخذ عنه الحديث، وأخذ عنه إجازة بالكتب الستة.

٧- الشيخ محمد الأمين محمود الشنقيطي. أخذ عنه العربية وفنونها.

٨- الشيخ صالح بن عثمان آل قاضي، وهو أكثر من لازمه وتأثر به.

٩- الشيخ محمد عبد العزيز المانع، وأخذ عنه العربية.

١٠- الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى.

مؤلفاته:

تنوعت مؤلفاته –رحمه الله– في أنواع من العلوم الشرعية منها:

١– تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، وهو أشهر كتبه رحمه الله.

٢– القواعد الحسان لتفسير القرآن.

٣– التوضيح والبيان لشجرة الإيمان.

٤– توضيح الكافية الشافية.

٥– منهج السالكين.

٦– الإرشاد إلى معرفة الأحكام.

٧– طريق الوصول إلى العلم المأمول.

٨– منظومة في قواعد فقهية.

٩– القواعد والأصول الجامعة.

١٠– الوسائل المفيدة للحياة السعيدة.

تلاميذه:

وتلامذته كثر رحمه الله، وأشهرهم:

١– عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل – حفظه الله –.

٢– محمد بن صالح بن عثيمين – رحمه الله –.

٣– محمد بن عبد العزيز المطوع – رحمه الله –.

وفاته

توفي –رحمه الله– في ليلة الخميس الثالث والعشرين من جمادي الآخرة عام ١٣٧٦هـ في عنيزة، وبلغ من العمر ٦٩ عاماً، وكان عمراً قضاه –رحمه الله– بالعلم والتعليم، والنفع والعطاء، فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته[١].

(١) ينظر: صفحات من حياة علامة القصيم عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص: ١٥–٢٠، معجم المؤلفين (٣٤٠/٣)، روضة الناضرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين (٢١٩/١).

المبحث الأول

الإصلاح الاجتماعي في تفسير ابن سعدي

(تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) على مستوى الفرد

اهتم ابن سعدي –رحمه الله– في تفسيره على إصلاح الفرد؛ لأن الصلاح الاجتماعي يكون مبناه على إصلاح الفرد، فلا يتحقق الصلاح المجتمعي الكامل إلا بصلاح الفرد.

وصلاح الفرد يكون بأمور وقد وقف عندها ابن سعدي –رحمه الله– في تفسيره: وهو الإصلاح الاعتقادي، والإصلاح في جانب الأعمال، والإصلاح في جانب العبادات، والإصلاح الاعتقادي.

المطلب الأول

الإصلاح الاعتقادي

يبين الله جل وعلا في كتابه أن الإنسان مفطور على الدين الحنيف، وهو الذي لا زيغ فيه ولا ميل، وقال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[(١)]، يشير ابن سعدي –رحمه الله– أن حسن العقول وقبحها على ما تملك من الدين، وأن شرع الله تبارك وتعالى تميل له العقول والفطر السليمة، ففي قلوب الخلق حب الحق إيثاره على غيره، ومن خرج عن ذلك فلعارض عرض على فطرته فأفسدها[(٢)]، كما قال النبي ﷺ: «كُلُّ مولُودٍ يُولدُ على الفِطرةِ فَأبواهُ يُهوِّدَانِه أو يُنَصِّرانه أو يُمجِّسَانِهِ»[(٣)]، فهذه هي الفطرة الباطنة التي يكون عمادها على الإخلاص

---

(١) سورة الروم: ٣٠.

(٢) ينظر تفسير ابن سعدي ص: (٦٤٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين (١٠٠/٢)، رقم (١٣٨٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٢٠٤٧/٤)، رقم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وتوجيه القلب عليه، وكمالها بترك المخالفات من الشرك، والإنابة إليه[١].

ومن دعاء النبي ﷺ: «أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَعَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»[٢].

ويبين ابن سعدي –رحمه الله– الفطرة الظاهرة فهي ما حث عليه الشارع من تنقية العبد جسده من الأوساخ والأنجاس والأوضار[٣]، وأمر بحلق العانة ونتف الإبط، وأمر بحف الشارب وإعفاء اللحية، وأمر بتقليم الأظفار، وأخبر أن الطهور الشرعي وهو إزالة الخبائث هو شطر الإيمان، قال ﷺ «الطَّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ»[٤]؛ ففي ذلك من طهارة الجسد من الأوساخ والأدران، وأن المداومة على الطهور من أوصاف المؤمنين، وقال تبارك وتعالى بعد ما ذكر الطهارة بالماء والتراب: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ

(١) ينظر: الفواكه الشهية في الخطب المنبرية، لابن سعدي، ص (١٠٥).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٤/٧٧)، رقم (١٥٣٦٠)، والنسائي في عمل اليوم والليلة ص (١٣٣)، رقم (١)، والطبراني في الدعاء ص(١١٣)، رقم (٢٩٤) من طريق سلمة ابن كهيل، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبيه، قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا إذا أصبح أحدنا أن يقول ... الحديث. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١١٦): " رواه أحمد والطبراني، ورجالهما رجال الصحيح"، وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح.

(٣) الأوضار: جمع: وضر، وهو الوسخ. ينظر: أساس البلاغة (وضر) (٢/ ٣٤١)، تاج العروس (وضر) (١٤/ ٣٦٤).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء (١/٢٠٣)، رقم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ.

تَشْكُرُونَ ﴾ [١]، فهذه الطهارة التي شرعها الدين الحنيف من أكبر النعم على الخلق، وبها يكرون تكفير الخطايا وتحصل به العطايا الجسيمة يوم التناد، فمن توضأ وأحسن الوضوء خرجت خطاياه مع ماء وضوءه من تحت الأظفار [٢]، ومن أحسن في وضوءه، ثم صلى ركعتين لا يُحدِّثُ فِيهما نفسه غُفرت ذُنوبه[٣]، و«مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ المُتَطَهِّرِينَ، فُتِحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ »[٤].

فإن ابن سعدي –رحمه الله– يُبين أنه لابد من الحرص على سلامة الفطرة مما يشوبها ويدنسها، فإنها بذاتها هادية إلى بارئها، والحرص على نقائها ظاهراً وباطنا، وهو ما يجب على العبد العارف بحق خالقه، والطالب لرضاه جل وعلا، والحذر من العوامل المؤثرة على هذه الفطرة ومنها التأثير المباشر وغير مباشر لأهل الباطل، والحديث السابق شاهد على ذلك.

وبَيَّن الله أن من ابتغى غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في

---

(١) سورة المائدة: ٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء (٢١٦/١)، رقم (٢٤٥) من حديث عثمان بن عفان ﷺ. قال صلى الله عليه وسلم: " مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوضوءَ، خَرَجَت خَطَايَاهُ مِنْ جسَدِهِ حتَّى تَخْرُجَ مِنْ تحتِ أَظفارِهِ"

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب الوضوء ثلاثًا (٤٣/١)، رقم (١٥٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب صفة الوضوء وكماله (٢٠٤/١)، رقم (٢٢٦) من حديث عثمان ﷺ. قال صلى الله عليه وسلم: "من تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هذا ثُمَّ قامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ لا يُحَدِّثُ فِيهِما نَفْسَهُ غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ».

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء (٢٠٩/١)، رقم (٢٣٤) من حديث عمر ﷺ.

الآخرة من الخاسرين، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [1]، ويذكر ابن سعدي في هذا الموضع أن الإسلام هو الاستسلام لله، إخلاصاً وانقياداً له ﷻ، ومن لم يأت به لم يأت بأسباب النجاة من عقاب الله والفوز بجنانه[2].

ومن الموانع التي تحمل على المخالفة عن المنهج الصحيح ورفضه: هو تقليد الآباء على ما هم عليه من الخطأ، يقول سبحانه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [3]، ويذكر ابن سعدي –رحمه الله– في تفسير هذه الآية أن هؤلاء المشركين رفضوا الحق واكتفوا بتقليد آبائهم، وزهدوا في الحق، ومع هذا فآباؤهم هم أهل جهل، وأهل ضلال، وهذه شبهتهم لرد الحق البين الواضح، «فهذا دليل على رفضهم الحق، ورغبتهم عنه، وعدم إنصافهم، فلو هدوا لرشدهم، وحسن مقصدهم، لكان الحق هو مقصدهم، ومن جعل الحق قصده، ووازن بينه وبين غيره، تبين له الحق قطعاً، إن كان منصفا» [4].

ومن صور الإصلاح الاعتقادي والحرص عليه، ما قاله إبراهيم عليه السلام لأبنائه ووصيته لهم، قال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ

(١) سورة آل عمران: ٨٥.

(٢) ينظر: تفسير ابن سعدي ص: ٨٥.

(٣) سورة البقرة: ١٧٠.

(٤) ينظر: تفسير ابن سعدي ص: ٨١.

﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[١]، يشير ابن سعدي في هذا الموضع: إلى أن اختياره لكم، رحمة بكم، وإحساناً منه جل وعلا إليكم، فقوموا بما يجب عليكم، واتصفوا بما بشرائعه، وانصبغوا بأخلاقه، حتى لا يأتيكم الموت إلا وأنتم على ما أمركم به، لأن من كان عيشه على شيء، فيكون موته عليه، ومن مات على شيء، بعث عليه[٢].

والأدلة على حرص الأنبياء والصالحين على أبنائهم كثيرة، ومنها كذلك دعاء إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [٣].

ووصية لقمان لابنه، قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾[٤].

على هذا فيجب على من ولاه الله جل وعلا ولاية أن يتق الله فيها وأن يحرص على سلامة فطرتهم، وسلامة دينهم لخالقهم وبارئهم، والأنبياء لنا فيهم أسوة بحرصهم على ذرياتهم وخاصة في معتقداتهم، ومن حرصهم كذلك الدعاء لهم بسلامة عقيدتهم من الشرك.

ولابد أن يعلم العبد أن الهداية هي منة من الله تبارك وتعالى، لذلك كان من دعاء النبي ﷺ في قنوته: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ»[٥]، قال

---

(١) سورة البقرة: ١٣٢-١٣٣ .

(٢) ينظر: تفسير ابن سعدي ص: ٦٦.

(٣) سورة إبراهيم: ٣٥-٣٦.

(٤) سورة لقمان: ١٣.

(٥) أخرجه أبو داود، كتاب الوتر، باب القنوت في الوتر (٦٣/٢)، رقم (١٤٢٥)، والترمذي، كتاب أبواب الوتر، باب ما جاء في القنوت في الوتر (٣٢٨/٢)، رقم =

تعـــــالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥﴾[1]، يذكر ابن سعدي في تفسير هذه الآية: أن الله بين لعباده أن علامة السعادة للعبد وهدايته، وعلامة شقاءه وانحرافه-: «إن من انشرح صدره للإسلام، أي: اتسع وانفسح، فاستنار بنور الإيمان، وحيي بضوء اليقين، فاطمأنت بذلك نفسه، وأحب الخير، وطوعت له نفسه فعله، متلذذا به غير مستثقل، فإن هذا علامة على أن الله قد هداه، ومَنَّ عليه بالتوفيق، وسلوك أقوم الطريق، وأن علامة من يرد الله أن يضله، أن يجعل صدره ضيقا حرجا. أي: في غاية الضيق عن الإيمان والعلم واليقين، قد انغمس قلبه في الشبهات والشهوات، فلا يصل إليه خير، لا ينشرح قلبه لفعل الخير كأنه من ضيقه وشدته يكاد يصعد في السماء، أي: كأنه يكلف الصعود إلى السماء، الذي لا حيلة له فيه» [2].

فعندما يعلم العبد أن الهداية من الله جل وعلا، يكون بذلك داعياً متضرعاً منكسراً لله بطلب الهداية، والثبات عليها، وعدم الاغترار بذلك، فبذلك يكون عبداً معتدلاً في ديانته لله معترفاً بفضل الله عليه، وراجياً منه مزيداً من الهداية والتوفيق.

=

(٤٦٤) من حديث الحسن بن علي ﷺ قال: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر: .... الحديث. قال الترمذي:" هذا حديث حسن "، وصححه النووي في خلاصة الأحكام (٤٥٥/١)، وابن الملقن في البدر المنير (٦٣٠/٣).

(١) سورة الأنعام: ١٢٥.

(٢) ينظر: تفسير ابن سعدي ص: ١٢٥.

المطلب الثاني

الإصلاح في جانب الأعمال

العبد مأمور بالعمل، والإحسان فيه، ولابد أن يكون على ما شرع تبارك وتعالى، لذلك جاء الآيات آمرة بالعمل والمسارعة والاتباع، وأول من أمر بالعمل هم أنبياء الله ﷺ، قال جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾[١]، يشير ابن سعدي –رحمه الله– في هذه الآية أنه أمر من الله تبارك وتعالى للرسل بالأكل من الطيبات، وهي الرزق الحلال الطيب، وشكر الله جل وعلا يكون بالعمل الصالح، الذي به يكون صلاح القلب والجسد، وصلاح الدنيا والآخرة، ويخبرهم سبحانه بأنه بما يعملون عليم، فكل عمل قاموا به، وكل سعي نالوه، فإن الله به عالم، وسيجزيهم بما عملوا على أتم الجزاء وأفضله، وفي الآية دلالة على أن الرسل كلهم مجمعون على إباحة الطيبات من المآكل والمشارب، وتحريم ما خبث منها، وأنهم مجمعون على أن كل الأعمال الصالحة وإن اختلف أجناس الأوامر، واختلفت بها الشرائع، فإنها كلها من الأعمال الصاحة، ولكن تختلف باختلاف الأزمنة... ولهذا، فالأعمال الصالحة، التي اتفقت عليها جميع الشرائع والانبياء، كالتوحيد، والإخلاص لله في القول والعمل، ومحبته، وخوفه، ورجائه، والبر والإحسان وغير ذلك من الأعمال الصالحة التي أجمعت الشرائع على حسنها والأمر بها، ويؤيدها ذوو العقول والفطر السليمة[٢].

ولابد للعمل من نية خالصة لله جل وعلا، يقول الله جل وعلا: ﴿ إِنَّ

(١) سورة المؤمنون: ٥١.

(٢) ينظر: تفسير ابن سعدي ص: ٥٥٣.

﴿ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦ ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١ ﴾(٢) «فمن أعظم الظلم وأبعد الضلال عدم إخلاص العبادة لمن هذا شأنه وعظمته، وصرف شيء منها للمخلوق الذي ليس له من صفات الكمال شيء، ولا له من صفات الغنى شيء بل ليس له إلا العدم. عدم الوجود وعدم الكمال وعدم الغنى، والفقر من جميع الوجوه»(٣).

ويقول سبحانه آمراً بالعمل: قال سبحانه: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾ (٤)، وابن سعدي يذكر في هذه الآية معنى وهو أن الله مطلع على ما يعمله المنافقون من خير أو شر، وسيُطلع رسوله ﷺ والمؤمنين على أعمالكم ولو كانت باطنة(٥)، وعلى هذا يكون العبد على حذر من المخالفة والعمل بما شرعه الله جل وعلا، ويعمل بما يصلح حاله وحال مجتمعه، ويتجنب كل ما يجلب الضرر عليه وعلى من حوله ومجتمعه، لأن الله عالم بما في نفوس العباد، قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾(٦)، ويذكر -رحمه الله- في هذه الآية بأن الله أخبر أنه عالم بما في النفوس خصوصا، وعالم بما في السماوات والأرض عموما، وهذا من كمال قدرته جل وعلا، ففي الآية توجيه

(١) سورة النساء: ١١٦.
(٢) سور الزمر: ١١.
(٣) تفسير ابن سعدي ص:٢٠٢.
(٤) سورة التوبة: ١٠٥.
(٥) ينظر: تفسير ابن سعدي ص: ٣٥١.
(٦) سورة آل عمران: ٢٩.

إلى الاهتمام بتطهير القلوب واستشعار علم الله في كل وقت وحين فالعبد العاقل يستحي من ربه أن يراه وقلبه فيما لا يرضي، بل يسعى على سلامة قلبه وفكره مما لا ينبغي ومما يخالف، ويسعي إلى ما يقربه من ربه، وينير قلبه وفكره بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ(١).

والجزاء من جنس العمل كما هو معلوم، يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾ (٢) البقرة، وقوله: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾(٣)، يذكر ابن سعدي في الآية بأن الله بين جزاءه فيهم، فقال جل وعلا: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ المقصود الأعمال التي شرعها الله جل وعلا على رسله، وهو مؤمن بالله ورسله، وما جاءوا به من الأعمال فلن يكفروه ولا يبطله الله، بل يضاعفه للعبد أضعافاً كثيرة، وهو مثبت للعبد في اللوح المحفوظ(٤).

فالعبد إن أحسن في ذلك فهو محسن لنفسه ومن أساء فعليها، يقول سبحانه: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ﴾ (٥) .

وهناك عقبات للعمل الصالح ومنها اتباع الشيطان، لذلك حذر الله جل وعلا العبد من اتباعه، وسلوك طرقه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ

(١) ينظر: تفسير ابن سعدي ص: ١٢٧.
(٢) سورة البقرة: ٢٧٧.
(٣) سورة الأنبياء: ٩٤.
(٤) ينظر: تفسير ابن سعدي ص:٥٣١.
(٥) سورة الإسراء:٧.

مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾[1]، ومنها اتباع الهوى، وقوله: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾[2]، والنفس تأمر بالسوء، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾[3].

المطلب الثالث

الإصلاح في جانب العبادات

يشرع ابن سعدي –رحمه الله– بذكر العبادات الرئيسة وأثرها في الإصلاح، فيذكر أن الإيمان وإقامة الصلاة هما منبع الفضائل الفردية، ومن موانع الوقوع في المخالفات في قوله تعالى: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[4]، فالصلاة تنهى العبد عن الفحشاء والمنكر[5]، والمنكر[5]، فالعبد المقيم للصلاة، والمتمم لها بأركانها وشروطها وخشوعها، قلبه بها يستنير، وفؤاده بها يتطهر، وإيمانه بها يزداد، وتقوى قواه في عمل الخير، وتحجم نفسه في الرغبة للشر، ولا يكون ذلك إلا بمداومتها والمحافظة عليها على هذا الوجه، فبذلك تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهذا

---

(١) سورة البقرة: ٢٠٨.

(٢) سورة الروم: ٢٩.

(٣) سورة يوسف: ٥٣.

(٤) سورة العنكبوت: ٤٥.

(٥) الفحشاء: كل ما استعظم واستفحش من المعاصي التي تشتهيها النفوس.
المنكر: كل معصية تنكرها العقول والفطر. ينظر: تفسير ابن سعدي ص: ٦٣٢.
والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص:٦٢٦.

من أعلى وأسمى مقاصدها وثمراتها[١].

وأمر تبارك وتعالى بالصيام، وفيه من الإصلاحات النفسية والاجتماعية، ففيه يتعلم العبد الصبر، ويقف بصومه على مدى الحاجة للطعام والشراب، وبه يعرف كيف يكون حاجة المحتاج إليه، فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾[٢]، فرض الله صيام شهر رمضان، وهو شهر في السنة يكون العبد مطيعاً لربه بترك الطعام والشراب والشهوات في نهاره، ومتعبداً بذلك الترك، ففي ذلك يكون تزكية النفس، ولما له من خصيصة قال ﷺ: قال الله جل وعلا: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»[٣]، ويذكر ابن سعدي –رحمه الله– الحكم التي تحصل في الصيام للعبد، فالصيام من مسببات التقوى، لأن فيه من الامتثال لأوامر الله جل وعلا واجتناب نواهيه، فالصائم يبتعد عن ما حرم الله عليه من المآكل والمشار والشهوة ونحوها، وهي مما تميل إليها النفس، راجياً بذلك القرب من الله، ونيل ثوابه، فهذا من التقوى، ويذكر –رحمه الله– من الحكم أن الصائم يكون بصيامه مراقباً لله تعالى، فيترك بصيامه ما تهواه نفسه، مع القدرة التامة عليه، وذلك لعلمه بنظر الله عليه[٤].

ومن الحكم للصيام: أن الصيام يضيق في العبد مجاري الشيطان، فيضعف بذلك نفوذه، ويقصر عن فعل المعاصي، ومنها كذلك: أن الصائم

---

(١) ينظر: تفسير ابن سعدي ص: ٦٣٢.

(٢) سورة البقرة: ١٨٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب هل يقول: إني صائم إذا شتم (٢٦/٣)، رقم (١٩٠٤)، ومسلم، في صحيحه، كتاب الصيام، باب فضل الصيام (٨٠٦/٢)، رقم (١١٥١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) ينظر: تفسير ابن سعدي ص: ٨٦.

تكثر طاعته في الغالب، فيحصل بذلك تقواه لربه، ومنها: أن الغني إذا ذاق الجوع وألمه كان ذلك داعياً له إلى مواساة الفقراء المحتاجين، وهذا من خصال التقوى(١).

وأمر الله ﷻ بالحج، فقال سبحانه: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾(٢)، وفي الحج يكون إصلاح النفس، فيبتعد عن الرفث والفسوق وكذلك الجدال(٣)، والابتعاد عن كل ما ينقص الأجر، قال تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾(٤)، فيذكر رحمه المقصود من الحج، وهو حصول الذل لله جل وعلا، ويحصل به الانكسار لله، والتقرب إليه تبارك وتعالى بما يمكن من القربات، والابتعاد والترفع عن مقارفة وارتكاب السيئات، فإنه بذلك يكون حجاً مبروراً، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنات(٥).

(١) ينظر: تفسير ابن سعدي ص: ٨٦.

(٢) سورة آل عمران: ٩٧.

(٣) الرفث: الجماع ومقدماته الفعلية والقولية، خصوصا عند النساء بحضرتهن. ينظر: تهذيب اللغة (رفث) (٥٨/١٥)، لسان العرب (رفث) (١٥٣/٢). والفسوق: جميع المعاصي، ومنها محظورات الإحرام. ينظر: القاموس الفقهي ص (٢٨٦).
الجدال: المماراة والمنازعة والمخاصمة، لكونها تثير الشر، وتوقع العداوة. ينظر: تاج العروس (جدل) (٢٨/ ١٩٤).

(٤) سورة البقرة: ١٩٧.

(٥) ينظر: تفسير ابن سعدي ص: ٩١.

المطلب الرابع

الإصلاح الأخلاقي

جاء الإسلام بالقيم السامية والأخلاق الفاضلة، وهي قيم كامنة في النفس الإنسانية، لذلك قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»(١)، فالأخلاق الطيبة مأمور بها المسلم، ويثاب عليها كالأعمال، بل وذكر النبي ﷺ منزلة صاحب الأخلاق السامية عندما قال ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ »(٢)، وقال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص (١٤٣)، رقم (٢٧٣)، وأحمد في مسنده (٥١٣/١٤)، رقم (٨٩٥٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٨٨): " رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح"، وصححه ابن عبد البر في التمهيد (٣٣٣/٢٤).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، (٢٥٣/٤)، رقم (٤٨٠٠)، من حديث أبي أمامة ﷺ.

قال النووي: "حديث صحيح رواه أبو داود بإسناد صحيح" رياض الصالحين ص (٢٦٤).

الزعيم: الضامن. ينظر: لسان العرب (١٢/ ٢٦٦). وربض الجنة: ما حولها خارجا عنها، تشبيها بالأبنية التي تكون حول المدن وتحت القلاع . ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٨٥).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق (٣٧٠/٤)، رقم (٢٠١٨)، من حديث جابر ﷺ . قال الترمذي: "حديث حسن" ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤١٨/٢)، رقم (٧٩١).

=

جاء القرآن بما يرشد ويربي بما تسمو به قيم المسلم، فأمر بالصبر، قال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [1]، يذكر ابن سعدي –رحمه الله: أن الله تعالى يأمر العبد بحبس النفس على الطاعات، وحبسها عن المعاصي والمنكرات، وعليه بالاستمرار وعدم الضجر، فإن الله يقبل من العبد أحسن العمل، ويجزي بالأجر الوفير، ففي الآية الترغيب العظيم للزوم الصبر، وذلك بتشويق العبد نفسه الضعيفة للأجر العظيم من الله جل وعلا، وذلك كلما ضعفت ووهنت[2]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [3].

فالصبر يكون على طاعة الله، والصبر عن المعاصي، والصبر على أقدار الله سبحانه وتعالى.

وأمر سبحانه وأرشد إلى العفو، قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[4]، يشير ابن سعدي في هذه الآية أنها جمعت

=

الثرثارون: هم الذين يكثرون الكلام تكلفا وخروجا عن الحق. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٠٩).

المتشدقون: فهم المتوسعون في الكلام من غير احتياط واحتراز. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٥٣).

المتفيهقون» هم الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواهم، مأخوذ من الفهق، وهو الامتلاء والاتساع. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤٨٢)

(١) سورة هود: ١١٥.

(٢) ينظر: تفسير ابن سعدي ص: ٣٩١.

(٣) سورة الزمر: ١٠.

(٤) سورة الأعراف: ١٩٩.

من الأخلاق أحسنها في التعامل الناس، وما ينبغي أن يتحلى به العبد في معاملتهم هو أن يأخذ العفو، أي: ما تطيب به أنفسهم، وما يكون عليهم من الأعمال أسهلها وأيسرها من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفهم بما لا تطيق به أنفسهم، «بل يشكر من كل أحد ما قابله به، من قول وفعل جميل أو ما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم، ولا يتكبر على الصغير لصغره، ولا ناقص العقل لنقصه، ولا الفقير لفقره، بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال وتنشرح له صدورهم»(١).

أمر تبارك وتعالى بدفع السيئة بالحسنة، وعدم مقابلة السيئة بالسيئة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾(٢)، في الآية أمر بالإحسان خاص كما يذكر ابن سعدي –رحمه الله –، وله وقع كبير بالنفوس، ويكون صاحبه ذا إحسان، وهو الإحسان لمن أساء إليك، وخاصة عندما يكون المسيء من الخاصة من الأقارب والأصحاب، ونحوهم، سواءً كانت إساءة قولية أو فعلية، فأمر الله جل وعلا مقابلته بالإحسان، فإن قاطعك فصله، وإن ظلمك فاعف عنه، وإن أخطأ بقولٍ أو فعل فلا تقابله بمثلها بل كن ذا عفوٍ، وقابله باللين، وإن هجرك، وهجر خطابك فقابله بطيب الكلام، وبادر بالسلام، فبذلك يكون به الاجتماع والفوائد العظيمة(٣).

ومن صلاح الفرد عدم الكبر والتواضع للناس، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾(٤)، ويذكر ابن

(١) ينظر: تفسير ابن سعدي ص: ٣١٣.
(٢) سورة فصلت: ٣٤.
(٣) ينظر: تفسير ابن سعدي ص: ٧٤٩.
(٤) سورة الإسراء: ٣٧.

سعدي –رحمه الله – أن الكبر من أسباب نزول منزلة العبد عند ربه وعند خلقه، ويكون محتقراً، ومبغوضاً ممقوتا، لأنه بذلك قد تحلى بأشر الأخلاق وأرذلها[1]، والكبر كما بينه النبي ﷺ: «الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وغَمْطُ النَّاسِ»[2]، فمن يرفض الحق، ويستحقر خلق الله جل وعلا فقد اتصف بالكبر الذي نهى الله عنه، بل قال النبي ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ »[3]، ودلالة ذلك على فساد قلبه، والكتاب والسنة دعت لسلامة القلب عن كل ما يشوبه.

ولسلامة القلب منافع جمة في الدنيا والآخرة، قال ﷺ للصحابة ﷺ يوماً: «يدخل عليكم رجلٌ من أهل الجنة» فكان رجلاً من الأنصار وثمرة ذلك أنه كان كما يقول: « أنِّي لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غِشًّا، ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه»[4]، وفي شأن القلب السليم يقول تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[5]، يشير ابن سعدي أنه بهذا القلب يكون النفع والنجاة من عقاب الله، ويحصل به الثواب الجزيل، والقلب السليم

(١) ينظر: تفسير ابن سعدي ص: ٤٥٧

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه (٩٣/١)، رقم (٩١) من حديث ابن مسعود ﷺ. وبطر الحق: هو دفعه وإنكاره ترفعا وتجبرا (غمط الناس) معناه احتقارهم يقال في الفعل منه غمطه يغمطه وغمطه يغمطه. ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٩٠/٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه (٩٣/١)، رقم (٩١) من حديث ابن مسعود ﷺ.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١٢٥/٢٠)، رقم (١٢٦٩٧)، من حديث أنس بن مالك ﷺ. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٧٩): " رجال أحمد رجال الصحيح"، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٥) سورة الشعراء:٨٩.

من سلم مما يخالف من شرك وشك، ومحبة الشر والذنوب، ومتصفاً بالإخلاص والعلم واليقين ومحبة الخير وأهله وتزيين الخير في قلبه، فتكون بذلك إرادته ومحبته لما أراد الله ﷻ[١].

وتحقيق الأخوة الإسلامية تكون بمحبة الخير للمسلمين، قال ﷺ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾[٣]، فهذه من العقود التي عقدها الله بين المؤمنين، أن من وجد مؤمناً في أي مكان في الأرض في مشارقها أو مغاربها، فإنه يكن له الخير، ويحبه له كما يحبه لنفسه، ويكره له ما يكرهه لنفسه[٤]، ولذلك قال النبي ﷺ آمرًا بحقوق الأخوة الإيمانية: «لا تَحاسدُوا، وَلا تناجشُوا، وَلا تَباغَضُوا، وَلا تَدابرُوا[٥]، وَلا يبِعْ

(١) ينظر: تفسير ابن سعدي ص: ٥٩٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١٢/١)، رقم (١٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (٦٨/١)، رقم (٤٥) من حديث أنس ﷺ.

(٣) سورة الحجرات: ١٠.

(٤) ينظر: تفسير ابن سعدي ص: ٨٠٠.

(٥) الحسد: تمنّي زوال نعمة من مستحق لها، وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها.
النجش: وهو أن يمدح السلعة لينفّقها ويروجها، أو يزيد في ثمنها وهو لا يريد شراءها؛ ليقع غيره فيها.
البُغْض: نفار النفس عن الشيء الذي ترغب عنه، وهو ضد الحبّ، فإنّ الحب انجذاب النفس إلى الشيء، الذي ترغب فيه.
التدابر: أي لا يعطِ كل واحد منكم أخاه دبره وقفاه فيعرض عنه ويهجره. ينظر: المفردات للأصفهاني ص:١٣٦-٢٣٤-٣٠٧.

بعْضُكُمْ عَلَى بيْعِ بعْضٍ، وكُونُوا عِبادَ اللَّه إِخْوانًا، المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِم: لا يَظلِمُه، وَلا يَحْقِرُهُ، وَلا يَخْذُلُهُ، التَّقْوَى هَاهُنا ويُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاثَ مرَّاتٍ بِحسْبِ امرئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِر أَخاهُ المُسْلِمَ، كُلّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حرامٌ: دمُهُ، ومالُهُ، وعِرْضُهُ»(١).

والأمور التي تجعل المجتمعات مستقرة وسامية هو العفاف، لذلك أمر الله جل وعلا به، فقال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾(٢)، ومما يساعد على العفاف النكاح، فأمر الله بالنكاح لما له من دور عظيم يُعين على العفة، لذلك يذكر ابن سعدي في هذه الآية أن الله تعالى أمر الأولياء بإنكاح ما تحت أيديهم ممن لا أزواج لهم، ولهم من باب أولى عند الحاجة، ومن عجز ولم يستطع إما لفقره أو لفقر وليه، فعليه بالاستعفاف، وفعل الأسباب التي تحميه وتعينه عليه، ودفع الأفكار التي تدعوه للوقوع في الخطأ(٣)، كما أرشد النبي ﷺ إلى ذلك، فقال ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن .. (١٩/٨)، رقم (٦٠٠٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم (١٩٨٦/٤)، رقم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرةﷺ.

(٢) سورة النور: ٣٢-٣٣.

(٣) ينظر: تفسير ابن سعدي ص: ٥٦٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب قوله النبي ﷺ: يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج (٣/٧)، رقم (٥٠٦٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب =

ويوجه ابن سعدي –رحمه الله– في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [1]، أنه على العبد أن لا يقف على ما لا يعلمه ولا يقول ولا ينطق به، لأنه مسؤول عما يقوله ويفعله، وعما استعمل به جوارحه التي خلقها الله له لعبادته، والإحسان بها، فهو مسؤول عنها، وعليه أن يعد للسؤال جواباً[2]، فبذلك يحرص العبد على ما ينفعه ويترك ويبتعد عما يضره.

=

النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ... (١٠١٨/٢)، رقم (١٤٠٠) من حديث ابن مسعود ﷺ.

(١) سورة الإسراء:٣٦.

(٢) ينظر: تفسير ابن سعدي ص: ٤٥٧.

المبحث الثاني

الآثار المترتبة على الإصلاح الاجتماعي على مستوى الفرد

لصلاح الفرد آثار عظيمة على مجتمعه، لأنه اللبنة الأساسية في بناء المجتمع وهو منه يكون الارتقاء والسمو بالمجتمع، من هذه الآثار ما يلي:

١- أن الفرد المؤمن إذا كان ذا عقيدة سليمة مرتفعاً عن الشرك، وعما يحوم حوله، ويكون عزيزاً بإيمانه، وواثقاً من نفسه، فبذلك يكون مؤثراً لا متأثراً، وهذا ما يخدم المجتمع في الإصلاح والرقي.

٢- أن ذا الفطرة السليمة وهي التي تكون كاملة الإيمان يكون صاحبها محباً للخير داعياً إليه، وفي السراء شاكراً، وفي الضراء صابراً، وقلبه سليم من الحقد والحسد والكراهية.

٣- حصول التقوى يكون بعمل الطاعات، وترك المعاصي والمنكرات، قال جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[١].

٤- العمل الصالح له الأثر على الفرد في صلاحه، والأثر صلاح البال، وهو ما يكون فيه صلاح الأمور كلها، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ﴿٢﴾ ﴾[٢]، فهذا الصلاح يشمل صلاح الدين والدنيا، والقلوب والأعمال[٣].

٥- الأعمال الصالحة تجعل حياة العبد طيبة، وتحصل بها الرضا عن كل ما يتحصل عليه، قال سبحانه: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[٤]، وهي

---

(١) سورة البقرة: ٢١.

(٢) سورة محمد: ٢.

(٣) ينظر: تفسير ابن سعدي ص: ٧٨٤.

(٤) سورة النحل: ٩٧.

كمال الطمأنينة وسكون القلب، وعدم التفاته لما يشوش عليه قلبه، ويرزقه الله تعالى رزقاً حلالاً طيباً من حيث لا يحتسب[١].

٦- العمل الصالح منجاة للمؤمن في حياة وآخرة، وشتان بين أصحاب العمل الصالح وغيره، قال سبحانه: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[٢]، لأن لأهل العمل الصالح النصرة والسعادة والفلاح والثواب في العاجل وفي الآخر، وأهل الإساءة لهم الغضب والهوان والعذاب والشقاوة في الدنيا والآخرة[٣].

٧- عمل السيئات يكون به فساد الدنيا، والخسران في الآخرة، قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[٤]، فالعمل السيء سبب في حصول الفساد في المعايش والآفات، وكذلك الأمراض والأوبئة، وذلك سبب ما عملته أيدهم من المنكرات[٥].

٨- التحلي بالأخلاق الفاضلة له الأثر الكبير على المجتمع المسلم، ويصور ذلك حديث النبي ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى »[٦].

---

(١) ينظر: تفسير ابن سعدي ص: ٤٤٨.

(٢) سورة الجاثية: ٢١.

(٣) ينظر: تفسير ابن سعدي ص: ٧٧٧.

(٤) سورة الروم:٤١.

(٥) ينظر: تفسير ابن سعدي ص: ٦٤٣.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب، الأدب، باب رحمة الناس والبهائم (١٠/٨)، رقم (٦٠١١)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (١٩٩٩/٤)، رقم (٢٥٨٦)، من حديث النعمان بن بشير ﷺ.

الخاتمة

النتائج والتوصيات

وبعد هذه الرحلة في الإصلاح الاجتماعي في تفسير ابن سعدي – رحمه الله – على مستوى الفرد توصلت لنتائج أوردها في النقاط التالية:

١- أن اصلاح الفرد لبنة أساسية في بناء المجتمع واستقامته.

٢- أن صلاح الفرد دعوة منهجية جاء بها الإسلام ودعا إليها كتاب الله جل وعلا.

٣- أن صلاح عقيدة الفرد هو مبدأ صلاح المجتمع، ويكون به صلاح العمل والعبادة، والبعد عن كل ما يشوب العمل.

٤- أن ابن سعدي –رحمه الله – حرص على صلاح الفرد، ووجه وفسر الآيات التي تدعو إلى الصلاح، وإلى كمال الفرد وحصوله على خيري الدين والدنيا.

٥- أن التقليد والعادات المجتمعية المخالفة للفطرة السليمة لا تحقق الصلاح المطلوب.

٦- أن العمل الصالح له أثر كبير على صلاح دنيا الفرد وآخرته.

٧- أن ابن سعدي –رحمه الله – لم يضع القواعد الإصلاحية في تفسيره، ولم يسر على منهجية في ذلك، ولكن اكتفي ببيان تلك الإصلاحات في تفسير الآيات.

التوصيات:

أوصي بدراسة الإصلاح الاجتماعي في تفسير ابن سعدي –رحمه الله– على مستوى المجتمع، ليكتمل موضوع الإصلاح الاجتماعي في تفسير ابن سعدي.

فهرس المراجع والمصادر

١- الأدب المفرد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري، مستفيدًا من تخريجات وتعليقات العلامة الشيخ المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

٢- أساس البلاغة، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٣- الإصلاح جذوره ومعانيه وأوجه استخدامه، باسم الزبيدي، الناشر: دار الجندي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

٤- أصول المجتمع الإسلامي، محمود جمال الدين محمد، دار الكتاب المصري ط ١٩٩٢م.

٥- الأعمال الكاملة، محمد عبده، الناشر: دار الشروق – القاهرة مصر؛ الطبعة: الاولى ١٩٩٣ م.

٦- البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، المحقق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض–السعودية، الطبعة: الاولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٧- بحوث مؤتمر الإصلاح، مجموعة من العلماء. بدون بيانات.

٨- تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
٩- تفسير ابن سعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م
١٠- تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
١١- الجامع الكبير – سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة ابن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.
١٢- خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه: حسين إسماعيل الجمل، الناشر: مؤسسة الرسالة – لبنان – بيروت، الطبعة : الاولى ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
١٣- الدعاء، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ.

١٤- روضة الناضرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، المؤلف. محمد ابن عثمان بن صالح بن عثمان – القاضي بعنيزة؛ الناشر. المؤلف، تاريخ النشر. ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م، مكان النشر. القاهرة.

١٥- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عام النشر: جـ ١ – ٤: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م، جـ ٦: ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م، جـ ٧: ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م .

١٦- سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق ابن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

١٧- شرح النووي على صحيح مسلم = المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ هـ.

١٨- صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير ابن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

١٩- صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري

النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٠- صفحات من حياة علامة القصيم عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المؤلف · عبدالله بن محمد الطيار، الناشر · دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.

٢١- عمل اليوم والليلة، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، المحقق: د. فاروق حمادة، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ.

٢٢- المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ

٢٣- الفواكه الشهية في الخطب المنبرية والخطب المنبرية على المناسبات، المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.

٢٤- القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، المؤلف: الدكتور سعدي أبو حبيب، الناشر: دار الفكر. دمشق – سورية، الطبعة: الثانية ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٢٥- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

٢٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي ابن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

٢٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد ابن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

٢٨- معجم المؤلفين، المؤلف: عمر رضا كحالة، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

References :

1. al'adab almufardi, almualafi: muhamad bin 'iismaeil bin 'iibrahim bin almughayrat albukhari, 'abu eabd allah (almutawafaa: 256hi), haqaqah waqabalah ealaa 'usulihi: samir bin 'amin alzuhiri, mstfydan min takhrijat wataeliqat alealamat alshaykh almuhdathi: muhamad nasir aldiyn al'albani, alnaashir: maktabat almaearif lilnashr waltawziei, alrayad, altabeati: al'uwlaa, 1419 hi - 1998 m.
2. 'asas albalaghati, almualafu: 'abu alqasim mahmud bin eamriw bin 'ahmada, alzamakhashari jar allh (almutawafaa: 538hi), tahqiqu: muhamad basil euyun alsuwdu, alnaashir: dar alkutub aleilmiati, bayrut - lubnan, altabeatu: al'uwlaa, 1419 hi - 1998 mi.
3. al'iislah judhuruh wamaeanih wa'awjuh astikhdamihu, biasm alzubaydi, alnaashir: dar aljindii lilnashr waltawzie, altabeat al'uwlaa 2005m.
4. uṣūl al-mujtamaʿ al-Islāmī Muḥammad, Maḥmūd Jamāl al-Dīn,. (Dār al-Kutub al-Miṣrīyah, Ṭ, 1992m).
5. al'aemal alkamilatu, muhamad eabduhu, alnaashir: dar alshuruq - alqahirat masr; altabeatu: alawlaa 1993 mi.
6. albadr almunir fi takhrij al'ahadith wal'athar alwaqieat fi alsharh alkabiri, almualafi: abn almulaqin siraj aldiyn 'abu hafs eumar bin ealii bin 'ahmad alshaafiei almisri (almutawafaa: 804hi), almuhaqiqi: mustafaa 'abu alghit waeabd allah bin sulayman wayasir bin kamal, alnaashir: dar alhijrat lilnashr waltawzie - alriyad-alsaeudiat, altabeati: alawlaa, 1425h-2004m
7. Buḥūth Muʾtamar al-iṣlāḥ". bi-dūn bayānāt. Majmūʿah min al-ʿulamāʾ
8. taj alearus min jawahir alqamus, almualafi: mhmmd bin mhmmd bin eabd alrzzaq alhusayni, 'abu alfayda, almlqqb bimurtadaa, alzzabydy (almutawafaa: 1205hi), almuhaqiqi: majmueat min almuhaqiqina, alnaashir: dar alhidayti.

9. tafsir aibn saedi = taysir alkarim alrahman fi tafsir kalam almanani, almualafi: eabd alrahman bin nasir bin eabd allah alsaedi (almutawafaa: 1376h), almuhaqiq: eabd alrahman bin maeala alllwayhaqi, alnaashir: muasasat alrisalati, altabeata: al'uwlaa 1420h -2000 m
10. tahdhib allughati, almualafi: muhamad bin 'ahmad bin al'azharii alhurawi, 'abu mansur (almutawafaa: 370hi), almuhaqaqi: muhamad eawad mureib, alnaashir: dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut, altabeatu: al'uwlaa, 2001m.
11. aljamie alkabir - sunan altirmidhi, almualafa: muhamad bin eisaa bin sawrt bin musaa bin aldahaki, altirmidhi, 'abu eisaa (almutawafaa: 279hi), almuhaqiqi: bashaar eawad maeruf, alnaashir: dar algharb al'iislamii - bayrut, sanat alnashr: 1998 mi.
12. khulasat al'ahkam fi muhimaat alsunan waqawaeid al'iislami, almualaf : 'abu zakariaa muhyi aldiyn yahyaa bin sharaf alnawawii (almutawafaa : 676hi), almuhaqiq : haqaqah wakharaj 'ahadithahu: husayn 'iismaeil aljumla, alnaashir : muasasat alrisalat - lubnan - bayrut, altabeat : alawlaa , 1418h - 1997m .
13. alduea'i, almualafi: sulayman bin 'ahmad bin 'ayuwb bin mutayr allakhmi alshaami, 'abu alqasim altabarani (almutawafaa: 360h), almuhaqiqi: mustafaa eabd alqadir eata, alnaashir: dar alkutub aleilmiat - bayrut, altabeatu: al'uwlaa, 1413 hi.
14. rudat alnaadirin ean mathir eulama' najid wahawadith alsinina, almualafa. muhamad bin euthman binasalih bin euthman - alqadi bieanizati; alnaashir. almualafi, tarikh alnashri. 1403 hi - 1983m, makan alnashri. alqahirati.
15. silsilat al'ahadith alsahihat washay' min fiqhiha wafawayidiha, almualafi: 'abu eabd alrahman muhamad nasir aldiyn, bin alhaj nuh bin najati bin adim, al'ushqudri al'albanii (almutawafaa: 1420h), alnaashir: maktabat almaearif lilnashr waltawziei, alrayad,

altabeatu: al'uwlaa, (limaktabat almaearifi), eam alnashr: ji 1 - 4: 1415 hi - 1995 mi, ju 6: 1416 hi - 1996 mi, ju 7: 1422 hi - 2002 m .
16. sinan 'abi dawud, almualafu: 'abu dawud sulayman bin al'asheath bin 'iishaq bin bashir bin shidad bin eamrw al'azdi alssijistany (almutawafaa: 275h), almuhaqaqa: muhamad muhyi aldiyn eabd alhamid, alnaashir: almaktabat aleasriatu, sayda - bayrut.
17. sharh alnawawiu ealaa sahih muslim = alminhaj sharh sahih muslim bin alhajaji, almualafu: 'abu zakariaa muhyi aldiyn yahyaa bin sharaf alnawawiu (almutawafaa: 676h), alnaashir: dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut, altabeata: althaaniatu, 1392 hu.
18. sahih albukharii = aljamie almusnad alsahih almukhtasar min 'umur rasul allah ε wasunanuh wa'ayaamihu, almualafi: muhamad bin 'iismaeil 'abu eabdallah albukhari aljaeafi, almuhaqaqa: muhamad zuhayr bin nasir alnaasir, alnaashir: dar tawq alnajaa (msawarat ean alsultaniat bi'iidafat tarqim tarqim muhamad fuad eabd albaqi), altabeati: al'uwlaa, 1422h
19. sahih muslim = almusnid alsahih almukhtasar binaql aleadl ean aleadl 'iilaa rasul allah ε, almualafi: muslim bin alhajaaj 'abu alhasan alqushayri alnaysaburi (almutawafaa: 261hi), almuhaqaqa: muhamad fuad eabd albaqi, alnaashir: dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut.
20. safahat min hayaat ealamat alqasim eabd alrahman bin nasir alsaedi, almualaf • eabdallah bin muhamad altayaar, alnaashir • dar aibn aljuzi, altabeat al'uwlaa 1413 hi.
21. eamil alyawm wallaylati, almualafu: 'abu eabd alrahman 'ahmad bin shueayb bin eali alkharasani, alnasayiyu (almutawafaa: 303hi), almuhaqiqi: da. faruq hamadat, alnaashir: muasasat alrisalat - bayrut, altabeata: althaaniatu, 1406 hu.
22. al-Mufradāt fī Gharīb al-Qur’ān Al-Rāghib al-Aṣfahānī, Abū al-Qāsim al-Ḥusayn ibn Muḥammad. Taḥqīq :

Ṣafwān ʻAdnān al-Dāwūdī, (Ṭ1, Dimashq, Bayrūt : Dār al-Qalam, al-Dār al-Shāmīyah, 1412h).

23. alfawakih alshahiat fi alkhutab alminbariat walkhutab alminbariat ealaa almunasabati, almualafi: 'abu eabd allah, eabd alrahman bin nasir bin eabd allah bin nasir bin hamd al saedi (almutawafaa: 1376h), alnaashir: alriyasat aleamat li'iidarat albuhuth aleilmiat wal'iifta' waldaewat wal'iirshadi, altabeati: al'uwlaa, 1412h - 1991m.
24. alqamus alfiqhiu lughat wastilaha, almualifi: alduktur saedi 'abu habib, alnaashir: dar alfikri. dimashq - suriat, altabeatu: althaaniat 1408 hi = 1988 m .
25. lisan alearbi, almualafi: muhamad bin makram bin ealaa ،'abu alfadali, jamal aldiyn aibn manzur al'ansariu alruwayfeaa al'iifriqaa (almutawafaa: 711h), alnaashir: dar sadir - bayrut, altabeata: althaalithat - 1414 hu.
26. majmae alzawayid wamanbae alfawayidi, almualafu: 'abu alhasan nur aldiyn eali bin 'abi bakr bin sulayman alhaythamii (almutawafaa: 807hi), almuhaqiqi: husam aldiyn alqudsi, alnaashir: maktabat alqudsi, alqahirata, eam alnashri: 1414 ha, 1994 mi.
27. msnid al'iimam 'ahmad bin hanbul, almualafu: 'abu eabd allah 'ahmad bin muhamad bin hanbal bin hilal bin 'asad alshaybani (almutawafaa: 241hi), almuhaqiqi: shueayb al'arnawuwt - eadil murshidi, wakhrun, 'iishrafi: d eabd allah bin eabd almuhsin alturki, alnaashir: muasasat alrisalati, altabeatu: al'uwlaa, 1421 hi - 2001 m .
28. muejam almualifina, almualafi: eumar rida kahalati, alnaashir: maktabat almuthanaa - bayrut, dar 'iihya' alturath alearabii bayrut.